بلاغة الحوار
بين
أصحاب الجنة وأصحاب النار

إعداد
دكتورة / نرمين محمد عمر إسماعيل
مدرس البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الإسكندرية

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾

هود: ٨٨

صدق الله العظيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله خالق الإنسان من سلالة من طين، ثم جعله نطفة في قرار مكين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، فجعله في أحسن تقويم، وميزه عن جميع خلقه بالعقل وباللسان المبين، وأسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة، فهل من شكران على هذا التنعيم؟!

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نوّر لنا الطريق فأصبح مستقيمًا، وعلمنا الشكر على نعمه – تعالى – التي لا تحصى، وارض اللهم على أصحابه وآله ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

وبعد...

مما لا شك فيه أن للحوار أهمية كبيرة في قيام العلاقات، وفض المنازعات، والسيطرة والسيادة، تستوى في ذلك الأفراد، والجماعات، والمجتمعات.

بل إن للحوار أهمية تفوق ذلك، فهو سبب رئيس في سيادة البلاد، بتقديم جوانبها المشرقة من أرباب الحوار فيها، أو تراجع البلاد عند عجز محاوريها.

هذا هو الحوار في منطق البشر، فما بالنا بالحوار الذى يقدمه رب البشر، فإن كتاب الله هو المعجزة الخالدة، (والحديث عن الإعجاز القرآني من جهة أسلوبه الحوارى بما فيه من أدلة وقدرة على الإقناع والإلزام، يضفى على وجوه الإعجاز التي طرقها العلماء لونًا جديدًا، يتداخل معها وينتشر بين ثناياها انتشار الماء بالعود الأخضر).[1]

وحلم البحث البلاغي في كتاب الله لبيان سبب من أسباب إعجازه التي لا تُحصى لا يزال يراودني مذ كنت في مرحلة الدراسات العليا، وحينها لم تكن السبيل ممهدة ليصبح حلمي حقيقة، وكثيرًا ما توقفت متأملة حوار أصحاب الجنة وأصحاب النار بسورة الأعراف، ورجوت الله تعالى أن أتمكن من البحث فيه؛ للوقوف على مظاهر إعجازه ففيه عبر وعظات لمن ألقى السمع وهو شهيد.

(١) – مظاهر الإعجاز فى الحوار القرآنى، د. أحمد البشايرة ، ١٥٥، ١٥٦، المجلة الأردنية فى الدراسات الإسلامية ، المجلد الثانى ، العدد الثالث ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

فأحببت أن تكون تلك الآيات هي مادة بحثى، فاستعنت بالله حتى أحقق جزءً من حلمي.

فكان عنوان بحثى :

"بلاغة الحوار بين أصحاب الجنة وأصحاب النار"

ومادة هذا البحث تبدأ بالآية الأربعة والأربعين، وهى قول الله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾الأعراف: ٤٤ .

وطبعي أن يكون هناك مرور بأصحاب الأعراف، والنداء الذى يقدمونه، حتى نقف على مستقرهم أيضًا.

وتختم مادة البحث بالآية الواحدة والخمسين، وهى قول الله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الأعراف: ٥١.

ولا يخفى أن هذه الآيات قد تناولها بالبحث علماء التفسير على اختلافهم، وعلى رأسهم جار الله الزمخشرى صاحب الكشاف، وكما لا يخفى على الجميع أنه كتاب تفسير مصبوغ بصبغة البلاغة.

لكن هذا البحث يقدم هذ الآيات بما تملكه من قدرة على استعمال اللُّغة بكلّ طاقتها التأثيرية والتعبيرية من أجل الوصول إلى المعنى.

بمعنى(أن القرآن يختار عبارته لسبك تركيبها ووضوح معناها، واتجاهها إلى الصراحة أو التلميح، ولمناسبتها للغرض إيجازاً وإطناباً، وحقيقة ومجازاً، ولحسن جرسها ثم لانسجامها مع أخواتها وبيئتها من السياق وتفضيلها بعض المفردات على بعض بحسب أهميتها، وهذا ما يخص النظم)[1]، فهذا البحث تحليل بلاغي كامل، وتلك محاولة على الوقوف على إعجاز الحوار فيها.

(١) – التأثير الصوتي للقرآن الكريم ، د. عادل أبو شعر،١٥، دمشق ، ٢٠٠٨ .

ولطبيعة الحديث في هذه الآيات اقتضت مادة البحث أن تكون على الصورة الآتية :

مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث زيلت بالخاتمة والفهارس.

أولاً : المقدمة؛ واشتملت على الحمد والثناء، وموضوع البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ونماذج من أهم المصادر والمراجع المستعان بها، ثم الشكر والتقدير.

ثانيًا: التمهيد؛ جاء فيه :التعريف بالحوار، أهدافه، آدابه، حوار القرآن، بين يدى السورة.

مباحث الحوار

المبحث الأول: البلاغة في آيات نداء أصحاب الجنة، ويضم الآيتين الأربعة والأربعين والتالية لها.

المبحث الثاني: البلاغة في آيات أصحاب الأعراف وندائهم، ويضم الآيات السادسة والأربعين، والسابعة والأربعين، والثامنة والأربعين، والتاسعة والأربعين.

المبحث الثالث: البلاغة في آيات نداء أصحاب النار، ويضم الآيتين: الخمسين، والحادية والخمسين.

رابعًا : الخاتمة، والتوصيات ؛ وتضم أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي.

أما عن المنهج الذى سرت عليه؛ كان عماد دراستي﴿**المنهج التحليلي التذوقي** ﴾، ولهذا المنهج قاعدتان حاولت جاهدة أن أضعهما نصب عيني وهما:

أولاً: الإقبال على النتاج الفني الذى يجب أن أستوعبه وأعيش في أعماق التجربة حتى أحس بنبضاتها وخلجاتها.

ثانيًا: المعرفة؛ بحيث يجب على من يتعرض للتحليل البلاغي أن يُحصل قدرًا وافيًا من المعارف حول الموضوع وجوانبه، يقول الإمام عبد القاهر :

(واعلمْ أنه لا يصادِفُ القولُ فى هذا البابِ موقعًا من السامِعِ، ولا يَجدُ لديه قَبولاً، حتى يكونَ من أهل الذوقِ والمعرفةِ)[1].

وقد استعنت في إتمام هذا البحث بمجموعة من المصادر والمراجع، وكان عمادها كتب البلاغة، والتفسير، والمعاجم.

وأخيرًا أتوجه بالشكر إلى كل من قدم إليَّ يد العون في إنجاز بحثى، ومن تقدم إلى بالنصيحة، فلا أملك إلا أن أقول لهم " جزاكم الله خيرًا"، وأن أدعو لهم بالبركة في الصحة والولد والمال.

والله أسأل أن يكون عملاً مباركًا خالصًا لوجهه الكريم.

الفقيرة إلى الله
د. نرمين محمد إسماعيل

١- دلائـل الإعجـاز ، عبـد القـاهر الجرجـانى ، ٢٩١ ، ت. محمـود محمـد شـاكر ، ط٣، مكتبـة الخانجى – القاهرة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

تمهيد بلاغة الحوار

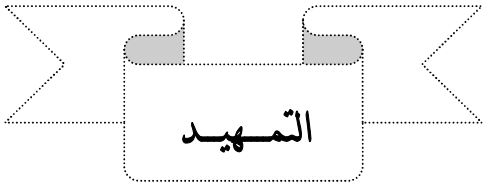

تعريف الحوار

التعريف اللغوي : يدور حول الرجوع والمجاوبة؛ فقد جاء اللسان: أن أصله من الحَوْر، وهو: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حارَ إلى الشيء وعنه حَوْراً ومَحاراً ومَحارَةً وحُؤُراً رجع عنه وإليه.

وفى الحديث : من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حارَ عليه؛ أي رجع إليه ما نسب إليه.(١)

وقال لبيد بن أبي ربيعة :

وما المَرْءُ إلاَّ كالشِّهابِ وضَوْئِه يحُورُ رَماداً بعد إذْ هو ساطِعُ(٢)

والمُحاوَرَةُ والحَوار: الجوابُ، ومُراجَعَةُ النُّطْقِ والكلام في المخاطبة.

وتَحاوَرُوا: تَراجَعُوا الكلامَ بينهمْ(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ " الانشقاق "١٤ "، أي: لن يرجع إلى الله تعالى تكذيباً بالمعاد.

الحوار فى الاصطلاح:

عرضت الكتب التي تتحدث عن الحوار أكثر من تعريف له، وكلها تدور حول تبادل الكلام بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة، للوصول إلى حقيقة هذه القضية.

---

(١) – اللسان مادة (حور).

(٢) – ديوان لبيد بن ربيعة ، من قصيدة بعنوان : " متى الفتى يذوق المنايا ؟ " ، ٥٦ ، ت. حمدو طماس ، ط١، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م .

(٣) – القاموس المحيط مادة (حور) .

وأحد هذه التعريفات يقول: هو الحديث بين اثنين أو أكثر، يتم فيه تبادل الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يتأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.(١)

وفى تعريف آخر:

(الحوار أداة أسلوبية تستخدم لمعالجة موضوع من الموضوعات المتخصصة في حقل من حقول العلم والمعرفة أو جانب من جوانب الفكر والعقيدة للوصول إلى حقيقة معينة بهذا الشكل من أشكال الأسلوب والمحادثة، وهو عملية تتضمن طرحًا من طرف، يتمثله الطرف الآخر ويجيب عليه فيُحدث تجاوبًا يُولد عند كل منهما مراجعة لما طرحه الطرف الآخر)(٢).

وبالنظر في هذه التعاريف نستطيع القول: إن ما جاء من نداء بين أهل الجنة وأهل النار هو حوار، أطرافه: " أصحاب الجنة "، "أصحاب الأعراف "، " أصحاب النار "، والقضية التي نشأ
الحوار حولها هي: " آيات الله التي كذب بها المكذبون وصدَّق بها المؤمنون ".

وقد وصل الحوار إلى الحقيقة حول هذه القضية، وهى: صدق هذه الآيات، وفوز المصدقين بها.

أهـدف الـحـوار

هناك هدفان رئيسان لكل حوار وهما:

١- الوصول إلى الحق، وترجيح أحد الآراء المطروحة، وتضييق هوة الخلاف بين المتحاورين.

٢- بيان الباطل الذي عليه الخصم، والرد على الشبهات والطعون الموجهة إلى الحق، لإقامة الحجة على المخالف.

---

(١) – الحوار فى القرآن ، عبد الله بن حسين الموجان ، ١٨ ، ط١، جدة ، ١٤١٧هـ.

(٢)– الحوار منهجًا وثقافة ، محمد خليفة حسن أحمد ، ١٩ ، ط١ ، الدوحة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨.

وهناك أهداف أخرى غير هذين الهدفين، ولكنها ليست رئيسة، فيمكن أن تتنوع بتنوع القضايا والمحاورين، فمثلاً: قد يكون الحوار مع كافر، ويقصد منه إظهار عزة الإسلام وقوة حجته، وذلك ليزداد المؤمنون إيمانًا ويقينًا وتمكنًا.(١)

آداب الحوار

للحوار بصفة عامة مجموعة من الآداب والأخلاق استنبطها العلماء من الكتاب والسنة، نجملها فيما يلى :

١- التزام الموضوعية، أي عدم الخروج عن الموضوع الذى هو محل النزاع أو الخلاف.

وإذا نظرنا في حوار القرآن نرى جواب الرسل – عليهم السلام –منتزعًا من كلام مخالفيهم دون الخروج عن الموضوع.

إذا نظرنا على سبيل المثال إلى حوار نوح - عليه السلام - مع قومه، نرى القرآن يحكى لنا الحوار(٢)، فيقول : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأعراف: ٦٠.

فكان جواب نوح - عليه السلام- :

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٦١.

٢- أن يبتعد الحوار عن اللجاج، وأن يكون بلغة سهلة واضحة بعيدة عن التكلف والتنطع(٣).

(١) – ينظر كتاب الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، أحمد بن عبد الرحمن الصويان ،٢٨، دار الوطن الرياض ، ط١ ، ١٤١٣هـ .
وكتاب أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، صالح بن عبد الله بن حميد ، ٧ ، ط ١ ،دار المنار – جدة مكة ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م .

(٢) – ينظر أدب الحوار في الإسلام ، د. محمد سيد طنطاوي ، ٢٣ ، دار نهضة مصر ، ١٩٩٧م

(٣)– المتنطعون :المتعمقونَ المُغالُونَ في الكلامِ الذين يتَكلمون بأَقْصَى حُلُوقِهم تَكَبُّراً . اللسان مادة (نطع) .

٣- أن تكون أولوية الحديث للأعلم، وأن يتأنى الإنسان قبل الكلام، فعليه أولاً التفكر والتدبر.

٤- أن يكون في حديثه إنماء للموضوع الذى سيحاور فيه، أو يتحدث عنه، ولا يكون كلامه فارغًا من الفائدة، وحواره لمجرد المشاركة.(١)

٥- الحرص على الصدق، فلا يتكلم إلا بدليل، وألا يتحدث إلا بعلم.

٦- أن يختار الألفاظ الطيبة المحببة إلى النفس، بحيث ينفذ كلامه إلى نفس مستمعيه مباشرة، ويكون عونًا له في قبول الحق.

٧- التواضع بين المتحاورين، فلا يفخر أو يتكبر أحدهم على الآخر.

٨- فَهم نفسية الحاضرين، ومعرفة مستواهم العلمي، ليخاطبهم بما يفهمون.

٩- البعد عن الفحش في الأقوال، فلا يتكلم الإنسان إلا بكلام طيب، والبعد عن الإعجاب بالنفس والمفاخرة بها.(٢)

الحوار الوارد في القرآن هو أروع وأعظم حوار على وجه الإطلاق، وبه من الإعجاز الفني واللفظي والمعنوي ما أعجز البشر وخبراء لغة العرب على أن يأتوا بسورة من مثله.(٣)

ويمتاز أسلوب الحوار والجدال في القرآن باتساع دائرته، ووضوح قضاياه، وشموله لما لا يُحصى من المسائل...

---

(١) – ينظر أدب الحوار في الإسلام ، سيف الدين حسين شاهين ، ٩٢ : ٩٤ ، ط١ ، دار الأفق – الرياض ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣ م .

(٢) – ينظر أدب الحوار ، سعد بن ناصر الشتري، ١٥ : ٤٠، دار كنوز – الرياض، ١٤٢٧هـ .

(٣) – ينظر الحوار في الإسلام ، عبد الله بن حسين الموجان ، ٤١ ، ط١ ، مركز الكون ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م .

- فهناك محاورات بين الخالق - ﷻ- وبين مخلوقاته من الرسل الكرام، ومن الملائكة المقربين، ومن الشيطان الرجيم.
- هناك حوار يدور حول وحدانية الله – تعالى – أو حول القرآن الكريم، واليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب.

- وهناك حوار بين الرسل وأقوامهم، وبين الأخيار والأشرار، وبين الأخيار فيما بينهم، وبين الأشرار فيما بينهم.

- حوار مع أهل الكتاب، ومع المنافقين، ومع المقلدين لسابقيهم، ولزعمائهم في الباطل، ومع السائلين للرسول ﷺ.
- حوار يتعلق بشخيصة النبي - ﷺ - ورسالته، و بما أحل الله تعالى و حرمه من الأطعمة والأشربة أو غيرهما. (١)

سمات الحوار في القرآن:

يتسم حوار القرآن بالاهتمام بكل جزئية من أجزاء الحوار، فللشخصيات، والحدث، والزمان، والمكان، دور يختل بانعدامه الحوار أو القصة؛ (لأن المقاصد التي يوحى بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض وتتحكم في ترتيب الأحداث وتسلط الأضواء على العنصر المراد إبرازه)(٢).

كما في حوار أهل الجنة وأهل النار، و كما في قصة مولد سيدنا موسى؛ فللحدث والشخصيات نفس القدر من الأهمية في أسلوب الحوار.

المكان والزمان :

فهما عنصران مهمان في الحوار بإلباسهما صورة من الواقع، وتشخيصهما للأحداث في جو البيئة التي جرت فيها، وكل ما يتصل بهذه البيئة من ظروف وعادات لها تأثير في أخلاق الأشخاص وتصرفاتهم.

---

(١) – أدب الحوار فى الإسلام ، د. محمد سيد طنطاوى ، ٣ .
(٢) – الحوار فى الإسلام ، عبد الله بن حسين الموجان ، ٤١.

نرى ذلك جليًا في حوار أصحاب الجنة والنار، فزمان الحوار لم يأت بعد فهو المستقبل بعد أن تقوم الساعة ويستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار فيها، إلا أن الحوار القرآني ألبسهما صورة الواقع، وسنتعرض له بالتفصيل في التحليل البلاغي إن شاء الله تعالى.

الشخصيات: لا يقصد بالشخصيات في حوار القرآن الإنسان فقط، وإنما كل شخصية وقعت معها أحداث، وأدت دورًا إيجابيًا في الحوار، مثل الملائكة، والجن، والحيوانات.

الأسماء :

وبالنسبة للأسماء فالحوار القرآني لم يهتم بذكر الأسماء، إلا في بعض الأحيان.

والحوار القرآني يعتمد على تنسيق الحوادث وعلى إبراز المواقف والأحداث تاركًا التفصيلات التي تعمل فيها العقول، أو يتصورها الخيال.(١)

بين يدى السورة

سورة الأعراف هي السورة السابعة في ترتيب المصحف، وهي أطول سورة مكية، وعدد آياتها ست ومائتا آية.

والرأي الراجح عند العلماء أن جميع آياتها مكية، وقيل إن الآيات من ١٦٣ – ١٧٠ مدنية، وكان نزولها بعد سورة " ص".

مناسبتها لسورة الأنعام :

سورة الأعراف تعتبر كالتفصيل لها، فإن سورة الأنعام قد تكلمت عن أصول العقائد وكليات الدين كلامًا إجماليًا، فجاءت سورة الأعراف كالشرح والتفصيل لذلك الإجمال، وخصوصًا فيما يتعلق بقصص الأنبياء مع أقوامهم وبعثة النبي ﷺ.

مقاصدها ومميزاتها:

اشتملت سورة الأعراف على المقاصد الإجمالية التي اشتملت عليها السور المكية، كإقامة الأدلة على وحدانية الله ﷻ، وعلى صدق رسوله محمدﷺ، وعلى أن يوم القيامة حق. . . الخ.

(١) – ينظر الحوار فى الإسلام ، عبد الله بن سعد الموجان ، ٤٢ : ٤٦ .

والذى يتأمل هذه السورة يجدها تهتم بعرض الحقائق في أسلوبين بارزين :

أحدهما : أسلوب التذكير بالنعم.

والآخر : أسلوب التخويف من العذاب والنقم.

وحوار أصحاب الجنة وأصحاب النار يقع في أواخر الربع الثاني وأوائل الربع الثالث من هذه السورة.[1]

(١) – التفسير الوسيط ، د. محمد سيد طنطاوي،٥/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، دار السعادة .

المبحث الأول

البلاغة في آيات نداء أصحاب الجنة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ الأعراف: ٤٤ - ٤٥

هذه الآيات تأتي بعد أن بين سبحانه جزاء الاستكبار والتكذيب، في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف: ٤٠ ــ ٤١

وجزاء الإيمان والعمل الصالح، في قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٤٢ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ الأعراف: ٤٢ ــ ٤٣.

واستقر كلا الفريقين في غايته، وتحقق صدق رسل الله، ينقل المولى - ﷻ- لنا مشهدًا من مشاهد الآخرة، وهو: **نداء أصحاب الجنة لأصحاب النار**.

وتلك هي حركة المعنى؛ حيث يستحيل النداء قبل الاستقرار في الجنة أو النار، وتلك ميزة من ميزات النظم القرآني.

تقرير وإسجال :

تدور الآية الأولى حول نداء من أصحاب الجنة لأصحاب النار يوجهون فيه السؤال لأصحاب النار عن مدى صدق وعد الله لهم؛ فيجيب أصحاب النار بأن الله قد صدق وعده وهذا هو الإقرار، وهنا يسجل أصحاب الجنة هذا الاعتراف عليهم، وسنرى تفصيل ذلك من خلال البلاغة.

فعند النظر إلى نداء أصحاب الجنة تطالعنا الواو واصلة هذه الآية بما قبلها من باب عطف القصة على القصة، قصة النداء من قبل المولى - ﷻ- لأصحاب الإيمان، وقصة النداء المتبادل بين الطوائف المختلفة في الآخرة.

ولكن لماذا ينادى أصحاب الجنة أصحاب النار؟ ألحاجة لأصحاب الجنة عندهم؟ أم لماذا ؟

دون شك ليس هناك حاجة لأهل الجنة، ولكن هذا النداء منهم ليجعل أهل النار يقرون بخطئهم في الدنيا، الذى جعل غايتهم الخلود في النار، وفي هذا مزيد من التعذيب النفسي الذى يجعل الإنسان يشعر بالألم البدني مضاعفًا، فهذا النداء تبكيت وتحسير لأهل النار.

وقد أتى النداء في صيغة الماضي الذى حدث وانتهى زمانه، فخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ فنحن لا نزال في الدنيا، ولم تقم الساعة بعد، ولكن الفعل الماضي يجعل هذه الأمور (كأَنَّها ٌ قَدْ وقعت فعلاً ومضت للدّلالة على تحقُّقِ وقُوعها في المستقبل، ولإعطاء الأحداث المستقبليَّة صُوَرَ قِصَص تَمَّ حُدُوثُها، فهي تُقَدَّم بتَصْوِيرٍ فَنِّيٍ مطابق للواقِع.

ومعلومٌ لدى كلِّ ذَوَّاق للتَّصْويرِ الفَنّي في القصَصِ أنَّ ما كانَ منها أكثر مطابقةً للواقع كان أكْثَرَ تأثِيراً في النفوس، واستثارةً للمشاعر)[1].

ولا نزال مع خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ حيث الاسم الظاهر " أصحاب الجنة " مكان الضمير " ونادوا "؛ فالآيات السابقة تتحدث عن أصحاب الإيمان واستقرارهم في الجنان، ولكن للاسم الظاهر هنا ميزة زيادة التقريع والتوبيخ للمكذبين، فعندما تأتى " أصحاب الجنة " بجوار " أصحاب النار " نرى الطباق؛ الذي يزيد من الترغيب في العمل الصالح الذى يوصل إلى مرتبة أصحاب الجنة، وينفر من التكذيب والاستكبار الموصل لأصحاب النار.

(١) – البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن المداني، ١/ ٥١٠، ط١، دار البشير – جدة ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

و كلمة " أصحاب " التي إن فتشت في طياتها تجد معنى العشرة، فهي تصور لنا طول المكوث في الجنة أو النار، وبمعنى أدق هنا الخلود، الذى يتولد عنه العشرة بين الإنسان والجنة وما فيها، والنار وما فيها، فكلمة " أصحاب " فيها إيجاز أغنى عن كل هذا التفصيل، كما تُقدم صورة لما يجب أن تكون عليه أعمال العبد؛ يجب أن تتحلى بالصدق، وأن تكون خالصة لوجه الله حتى يوصف صاحبها بالإيمان، وحتى يستحق لقب الصاحب مع الجنان، وبنفس اللفظة نجد التنفير من الكفر وأعماله التي توصل لرتبة الصحبة مع النار.

فألفاظ القرآن يراعى فيها المعنى العام للجمل؛ حيث تجدها بين مرادفاتها (أمسها رحمًا بالمعنى، وأوضحها في الدلالة عليه، وأبلغها في التصوير، وأحسنها في النسق، وأبدعها بناءً، وأكثرها غناءً، وأصفاها رونقًا وماءً) [(١)].

يأتي بعد ذلك قول المولىﷻ :﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾، مجيبًا عن السؤال الذى تولد في ذهن القارئ، بم نادى أصحاب الجنة ؟، فكان الجواب: " أن قد وجدنا "، فالفصل لشبه كمال الاتصال.

وكلامهم مؤكد، بأن، وقد مع الماضي للتحقيق، إظهارًا لمعتقد نفوسهم، وفرحتهم بما هم فيه من نعيم، كما أن المكذبين على مرأى ومسمع لنعيم أصحاب الجنة، ولا شك ولا إنكار مع المعاينة، وإنما أتى التأكيد للسخرية منهم، وتوبيخهم على ما كانوا عليه من تكذيب وسخرية من المؤمنين في الدنيا.

ويأتي الاسم الموصول " ما " بما يحمله من إبهام ليشمل كل ما وعد به رسل الله في الدنيا، من بعث وحساب وصراط وجنة ونار الخ.

وأتت " وعد" في زمن المضي؛ لأنه كان في الحياة الدنيا وانتهى زمانه، وأصبح البشر في الآخرة يعاينون تحقق ما وعودوا.

واختيار لفظة " رب " دون غيرها؛ لأنها تشمل معنى الملك والتدبير[(٢)]، فهو مالكنا ومدبر أمرنا ولم يخذلنا وصدق وعده لنا.

---

(١) – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ٢١٨، ٢١٩ ، ط٨، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٩٥م.

(٢) – الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، ٢٤٧ ، ط١، ١٤١٢هـ .

وتأمل الالتفات من التكلم " أن قد وجدنا" إلـى الخطـاب " فهل وجدتم" التفات التهكم والسخرية والاستهزاء.

والالتفات في صورة سؤال لأصحاب النار: ﴿ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا﴾، فالسؤال هنا المراد به التقرير، لمزيد من الإذلال والسخرية والتحقير لهؤلاء المكذبين، فقد صدق وعد الله؛ فغلقت أبواب السماء أمامهم؛ فقال تعالى :(لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ).

ونفى تفتح السماء لهم متجدد مستمر نراه من دلالة المضارع " تفتح "، فهي لا تنفتح لهم في جميع الأحوال والأزمان، والمراد أن السماء تغلق أبوابها أمام أعمالهم، وأرواحهم فلا يصعد منها شيء، وترى التشديد في " تفتح "، الذي يعكس الشدة في رفض الفتح مقابلة لشدتهم في رفض الإيمان، وكذلك بنى للمجهول وحُذف الفاعل، فكأن هذا الرفض إرادة حرة من السماوات التي هي مخلوق من مخلوقات الله - ﷻ-، قد عاين إعراضهم في الدنيا، فقابل هذا الإعراض بالإعراض عن الفتح، ولا عجب فالجزاء من جنس العمل.

ومن أنواع العذاب الحرمان من الجنان قال تعالى :(وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ)؛ فقد قرر المولى خلودهم في النار، بطريق: (تأكيد الذم بما يشبه المدح)، كما أنه من المناقضة[1]؛ فقد نفى دخولهم الجنة ثم علقها بغاية، وفي ذلك إيهام لهم أن هناك نجاة أو خلاصًا، فإذا ما جاءت الغاية بأمر مستحيل وهو: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾، تبين أنه تأكيد لما سبق أن تقرر، وهو عدم دخولهم الجنة.

(١) –الْمُنَاقَضَةُ: وَهِيَ تَعْلِيقُ أَمْرٍ عَلَى مُسْتَحِيلٍ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِحَالَةِ وُقُوعِهِ . تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع ، ٦٠٧، ت .حفني شرف، الكتاب الثاني.
الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (٤/ ٦٦)، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

فدخول الجمل وهو الحيوان المعروف، أو حبل السفينة[1] في ثقب الإبرة أمر مستحيل، وما علق على مستحيل فهو مستحيل، وفي هذا تأكيد آخر مُفاد من القصر بطريق تعريف المسند إليه "الجمل " بلام الجنس.

وفي هذه الجملة قرع لحسهم وإفزاع لهم، فحال هؤلاء المكذبين النفسية أشبه ما تكون بظمآن في مفازة وقد رأى الماء يترقرق من بعيد، حتى إذا وصل وجده السراب، فتحطمت كل آماله، وتأكد له الخلود في النار.

ومن صدق وعيد الله أنهم في جهنم خالدون يتلقون صنوف العذاب؛ فقد قال تعالى في الآيات السابقة: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ الأعراف: ٤١.

في هذه الآية ينقل لنا المولى -ﷻ- مشهدًا من داخل جهنم، يعاين به الحس بشاعة الجزاء، جزاء التكذيب والاستكبار، فالنار تحيط بهم من كل جانب؛ فقد أصبحت فراشًا، وغطاءً، فلا ملاذ ولا مفر.

فالمهاد : الفراش، وسمى بذلك لأن الإنسان يهيئه للراحة، والسكون بعد التعب[2]، وقد يُخص به الطفل.

فهي استعارة تمثيلية؛ قرَّبت للخيال صورة انغماس الكافرين في قعر النار، فحال الظالمين في إحاطة النار بهم من كل جانب لا يستطيعون الفرار، حال الطفل الذى وضع في فراشه ذي الجوانب العالية فأُحكمت حركته فلا يقع يمينًا أو شمالاً، ووضع عليه الغطاء فلا يستطيع إزاحته، وجمعهما في الخيال المكوث وعدم القدرة على الفرار.

ولذا أتى – سبحانه – بـ " من فوقهم غواش " للاحتراس فغواش: ما يغشاهم فيغطيهم من أنواع العذاب.

---

(١) – يراجع معانى القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج ،٢/ ٣٣٧ ، ت. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب – بيروت ،١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

(٢) – تهذيب اللغة ٣١٨/٢ ، وتاج العروس مادة (مهد) .

فقد يتوهم السامع لقوله: " لهم من جهنم مهاد " أن الأمر مقتصر على الفراش، وأن لهم ملاذًا من فوقهم يخفف نار المهاد، فأتى بـ " من فوقهم غواش " ليؤكد انغماس هؤلاء الظالمين في النار، وأنه لا ملاذ لهم.

وقد اختار تعالى من بين أسماء النار " جهنم "؛ لأنها كما قال العلماء: (مأخوذة من الجهومة وهى الشيء المخوف العابس الكريه الوجه، وسميت بذلك لغلظ أمرها في العذاب)[1]؛ وبذلك يكون الوعيد والتخويف أشد.

وهذه الاستعارة للتهكم والسخرية من هؤلاء الكفار الذين امتهدوا فرش الحرير في الدنيا واقتنوا أفخم الأغطية، وسخروا من أصحاب الإيمان، فكان الجزاء مهاد وأغشية النار في الآخرة، وصدق الله إذ يقول : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ الدخان: ٤٩.

وهذا ما أكده الطباق بين " مهاد " و" غواش "، لأن المهاد يكون تحت الإنسان، والغطاء فوقه، فالنار محيطة بهذه الطائفة، فلا أمل لهم في الفرار.

ثم هذه الحال ثابتة لهم ودائمة معهم، هذا ما تحكيه لنا دلالة التعبير بالجملة الاسمية.

ومن جملة العذاب العذاب النفسي الذي نراه في قول المولى - ﷻ- في الآيات السابقة مناديًا المؤمنين: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾الأعراف: ٤٣.

حيث نرى لفظة " أورثتموها " التي تعطى إحساسًا أنها دون مقابل، مثل مال الأب الذى يؤول إلى بنيه في صورة الإرث، فتكون هنا استعارة تصريحية، تصور عظم شأن تلك الجنان التي لا يستحقها إنسان بعمله.

إذن فنعيم هذه الجنان مِنة من الرحمن على عباده هذا أمر.

(١) – ينظر تفسير الشعراوي ، الفخر الرازي ١/ ١٩٥٩ ،آل حم " غافر، فصلت " دراسة في أسرار البيان، د. محمد أبو موسى ،١٧٩، ط١، مكتبة وهبة – القاهرة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٩م. .

والآخر كما **قال فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي**: إن الله قد أحصى خلقه جميعًا وأعد لكل موضعًا في الجنة، وموضعًا في النار، فإذا كان العبد عاصيًا دخل النار وترك الجنة، ويرثها العبد المؤمن الذى دخل الجنة،[1] وقد قال المولى - ﷻ- ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن: ٤٦.

وأرى أن هذا التفسير هو المناسب هنا؛ لأن فيه مزيدًا من السخرية والاستهزاء بمن كذب واستكبر، فكأن المولى - ﷻ- يقول له : أرأيت الجنة التي دخلها من آمن؟، انظر قد زود بجنة أخرى كانت مُعدةً لك، وذلك لقاء إيمانه وعمله الصالح، فهذا الإرث للجنة مضاعفة للعذاب البدني بالعذاب النفسي، فقد أبعده المولى -ﷻ - عن المؤمن حين قال : (ونزعنا ما في صدورهم من غل)، وزود به المستكبر حين قال : (أورثتموها).

كل تلك الأمور ما هي إلا صورة لبشاعة الجزاء الذي استحقه الكفار لقاء تكذيبهم وسخريتهم من أرباب الإيمان.

وتلك هي حركة المعنى التي بدأت في الآيات السابقة، وهيأت النفوس لتلقي النداء.

عود لنداء أصحاب الجنة في قول المولى عز وجل: ﴿ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ﴾ فقد ذكر المولى - ﷻ- المفعول مع وعد الأولى، ولم يذكره في الثانية؛ ليشمل جميع أحداث الآخرة من نعيم وعذاب، فالكافرون منكرون كل هذا، فكان حذف المفعول مناسبًا هنا، أما لو ذكر لدل على ما هم فيه من عذاب فقط.

يقول جار الله الزمخشري:(حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه. ولقائل أن يقول : أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر

(١) – ينظر تفسير الشعراوي ٧/ ٤١٤٧ ، مراجعة أ .د . أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم .

أحوال القيامة؛ لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع، ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلاّ عذاب لهم فأطلق لذلك)[١].

و تأتى الإجابة: " قالوا نعم " وفى ذلك إسجال عليهم [٢]، حيث سجل أصحاب الجنة على أصحاب النار تلك الحقيقة وهى وجود البعث والحساب والجنة والنار التي يعذب فيها العاصي، تلك الحقيقة التي طالما أنكرها المكذبون.

(وفي مثل هذا اللون من التسجيل إثارة لوجدان المتشككين والمنكرين وإثارة الخوف في أنفسهم، حين يسمعون اعتراف من على شاكلتهم، ويدفعهم الخوف إلى التأمل، عساهم يهتدون)[٣].

كما أنها قدرة للحوار القرآني على استخراج خفايا النفوس وما تكنه في بواطنها...، بما يفحم الخصم ويبهته[٤].

وجملة مقول القول محذوفة، والتقدير :" نعم وجدنا ما وعد ربنا حقًا "، وسبب الحذف الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، كما أنه وافق الحال النفسية لأصحاب النار؛ فالمقام إذلال لهم؛ لأن السؤال صادر من أصحاب الجنان الذين استخف بهم الكفار كثيرًا وأنكروا عليهم اتبعاهم الرسل، وحاولوا جاهدين صدهم؛ لذا عندما أتت إجابة هؤلاء الظالمين عن السؤال انقطع نفسهم فلم يستطيعوا إكمال الإجابة، لمعاينتهم النار التي يعذبون فيها، ونعيم الجنان لأصحاب الإيمان.

---

(١) – الكشاف ، جار الله الزمخشري،١٠٢/٢، ت. عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان .

(٢) – الإسجال في علم الجدل : هو الإتيان بألفاظ يسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به نحو:﴿ رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ﴾، و ﴿رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ ؛ فإن في ذلك إسجالا بالإتيان والإدخال حيث وصفا بالوعد من الله الذى لا يخلف وعده . ينظر تحرير التحبير ٥٧٤.

(٣) – من بلاغة القرآن، ٢٨٢.

(٤) – مظاهر الإعجاز في الحوار القرآني ، ١٧٠.

ثم تأتى فاصلة الآية متناسبة مع هذا النداء، حيث يقول جل شأنه : ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، والأذان هو النداء، أي فينادى مناد من الملائكة يسمعه الفريقان، وهذا النداء مسبب عن الحوار السابق ودل على هذا الفاء في " فأذن".

والخروج على خلاف مقتضى الظاهر في استعمال الفعل الماضي " أذن" للحدث المستقبلي " سيؤذن " ؛ فأحداث الحوار لم تتم وإنما ستكون في المستقبل، وإلباسها ثوب المضي والحكاية للتأكيد على تحقق وقوعها، وأنها أمر لا مراء فيه.

بم أذن المؤذن؟، أتت الجملة التالية مجيبة بأن اللعنة : وهى "الطرد من رحمة الله "على الظالمين والمراد بهم هنا الكافرين، لذا فُصل بين الجملتين لشبه كمال الاتصال، كما أتت الجملة مؤكدًة بـ" أن " واسمية الجملة، فالإبعاد من رحمة الله ثابت لن يتغير.

وفي هذه الفاصلة مزيد من التحسير والتبكيت للمكذبين، فهم في قعر النار خالدون، وعاينوا ما أُعد لهم من الجنان وحرموا منها وزود بها المؤمنون، وإذلال أهل الجنة لهم بالنداء والإسجال عليهم، ثم حكم الله بالطرد من رحمته وفي كل هذا مزيد من الألم النفسي الذى يضاعف العذاب البدني في جهنم.

فهذه الإثارة والاستفزاز والتهكم اللاذع من ميزات الحوار القرآنى[1]، التي تستنهض الهمم وتستثير العزائم لتبتعد عن هذه الطريق.

(١) – مظاهر الإعجاز في الحوار القرآني ، أحمد سليمان البشايرة ، ٥، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثاني ، العدد٣، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

تفصيل أحوال الظالمين:

وتأتي الآية التالية مفسرة من هم الظالمون الذين حُكم عليهم بالطرد من رحمة الله؟؛ يقول جل شأنه:

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ ؛ لذا فهذه الآية مفصولة عن سابقتها لشبه كمال الاتصال.

والاسم الموصول " الذين " لبيان الصفات التي توافرت فيهم فحكم عليهم بالظلم فالطرد من رحمة الله - ﷻ-.

وهذه الصفات هي صد الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاء به الأنبياء، ويبغون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة، حتى لا يتبعها أحد [1].

والفعل المضارع في " يصدون، ويبغونها " الذى يستحضر حالهم الماضية في الدنيا، وما فعلوه فيها من كفر وتكذيب، وإغواء لغيرهم، فهم لم يكتفوا بالكفر، فقد اتجهوا إلى تشويه القرآن ورميه بما ليس فيه، كقولهم إنه لسحر يؤثر، فأضلوا غيرهم، لذا كان عقابهم ليس فقط الخلود في قعر النار، ولكن الطرد من رحمة الله، كما أضلوا الناس وأبعدوهم عن سبيل الله.

وللفعل المضارع مزية التجدد والاستمرار، وهذا ما نراه من تجدد تلك الحال في عصرنا الحاضر، فكم من وسائل إعلانية ومحطات فضائية همها الأول هو تشويه صورة أهل الإيمان، سواء من المحجبات أو الشيوخ، أو من يرتاد المساجد، حتى من يعتاد إلقاء تحية الإسلام، فلا نرى هؤلاء إلا في صورة إرهابيين يحملون السلاح ويروعون الأمناء، ويهتكون الأعراض تحت اسم الدين، هذا ما تقدمه تلك القنوات للقاعدة العريضة من الشعب، الذى لا يعرف عن دينه إلا القليل، لذا نرى النفور من الإيمان وأهله، والسخرية المرة، وهم لا يدرون أنهم أُبعدوا عن الطريق المستقيمة،

(١) – تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (٣/ ٤١٧، ت. سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، وكتاب الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ٤/ ٢٣٥ ، ت. الإمام أبي محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

وسلكوا ما أعوج منها، فهم كما قال ابن عباس : (يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله)[١].

فآهٍ لو علم هؤلاء المُضلون ما ينتظرهم من مصير عند رب العالمين، فهم في قعر جهنم خالدون، ومن رحمة الرحمن مبعدون.

والمراد " بسبيل الله ": هدى الله الذي دعا إليه [٢]، إذن فكلمة " سبيل " استعارة تصريحية، فاتباع دين الله وهدية أمور معنوية أخرجتها الاستعارة في صورة محسوسة متمثلة في سبيل مستقيم معتدل ليس به اعوجاج ولا عقبات، فهو الموصل للغاية بسلام.

وتلك ميزة أخرى للحوار القرآني وهو التصوير الفني للأمور العقلية ونقلها محسوسة مرئية.

ولذا أتت لفظة " سبيل " دون " الطريق؛ لأن (السبيل أغلب وقوعا في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقترنا بوصف أو إضافة تخلصه لذلك)[٣]، ومعلوم أن دين الله هو الخير ومن يتبعه يسلك طريق الخير، وهذا أهم ما يميز ألفاظ القرآن الكريم عن غيرها من الألفاظ التي يستعملها البشر، فكل لفظ للقرآن مناسب أشد المناسبة للمعنى الذي أريد منه.

يقول الجاحظ: (وقد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن "الجوع " إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر.

---

(١) – تفسير السراج المنير ، محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، ١/ ٣٧٧ ، دار الكتب العلمية . بيروت .

(٢) – اللسان مادة " سبل " .

(٣)– الفروق اللغوية ٣١٣.

والناس لا يذكرون " السغب"، ويذكرون " الجوع" في حال القدرة والسلامة...، ولفظ القرآن الذى عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا.

والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال)[1].

ونرى الواو العاطفة بين " يصدون "، و" يبغونها "، فما السبب وراء هذا العطف ؟، أهو للتوسط بين الكمالين؟ أم هناك مزية أخرى ؟

بعد التدبر في الجملتين، نرى أن في الصد عن سبيل الله نقلاً إلى الطريق المعوجة، وإلا فكيف يترك الإنسان سبيلًا مستقيمة معتدلة إلا إذا تم إغواؤه بطريق أخرى لا يظهر عوجها حتى يسلكها الإنسان ويتمادى فيها.

إذن فجملة " يبغونها عوجًا " بمنزلة التأكيد المعنوي لـ " يصدون عن سبيل الله "؛ فبينهما كمال اتصال، فالمقام للفصل، لكن المولى - ﷻ - فضل الوصل وأتى بالواو لما تحمله من معنى المغايرة، فكأن الصد مختلف عن الإغواء بالطريق المعوجة؛ وفى ذلك تنفير من هذه الحال التي عليها المكذبون، الذين وصلوا لدرجة الظلم لأنفسهم حينما صدوا عن سبيل الله، فقد تجاوزوا كل الحدود وبلغوا أعلى درجات التكذيب بالاستكبار عن اتباع آيات خالقهم، وإغوائهم لغيرهم فحُق التنفير منهم.

يقول الشيخ محمد أبو موسى :

(ووجه الواو في ذلك هو أن ما فيها من معنى التغاير الذى لا يبرحها ينعكس على هذه الجمل فيوهم أنها معان متمايزة ومختلفة، ووراء ذلك أسرار لطيفة يحلو معها مذاق الكلام) [2].

(١) – البيان والتبيين، الجاحظ، ٢٦، ت. فوزى العطوى،ط١، صعب – بيروت، ١٩٦٨ م .
(٢) – دلالات التراكيب، أ.د. محمد أبو موسى، ٣٠٤ ، ط٣، مكتبة وهبة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

وفى إيهام التضاد بين " سبيل الله " و " عوجًا "؛ فسبيل الله هي الطريق المستقيمة، المضادة للعوج الذين يريدونه، وسبيل الله فيها مزيد من الترغيب في الإيمان، فهذه هي الطريق الوحيدة الموصلة للجنة، وغيرها فهو المعوج الذى لا نهاية له إلا النار.

ثم أتت فاصلة الآية مؤكدة ما هم عليه من كفر وصد لغيرهم، في قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾؛ فالمقام أيضًا للفصل ولكن أتت الواو التي توحي بالتغاير، للتنفير من هذه الحال.

ولا نزال مع مخالفة الظاهر؛ فقد أتى بالمظهر " هم " في موضع المضمر، فمقتضى الظاهر يكفى فيه " وبالآخرة كافرون "، ولكن المولى - ﷻ- أتى بالضمير المنفصل وهو في قوة الاسم الظاهر، للتأكيد[1] على كفرهم باليوم الآخر ومن ثم استحقاقهم اللعنة من الله، والخلود في النار.

والجملة الاسمية تعكس ثبوت ودوام تلك الحال فيهم، فلن تتغير أبدًا، فقد تعاموا عن آيات الله في الكون وفي أنفسهم، فختم الله على قلوبهم، فالكفر بالآخرة وما فيها هو مصيرهم.

يقول الإمام عبد القاهر في التعبير بالاسم :

(ويَقْتضي الاسمُ ثُبوتَ الصفةِ وحُصولها من غيرِ أن يكونَ هناك مُزاولةٌ وتَزْجيةُ فعلٍ، ومعنىً يَحْدُث شيئاً فشيئاً)[2].

وجاء الخبر " كافرون " بصيغة " فاعل " التي (تفيد الدلالة على المشاركة)[3]، فهم لم يكتفوا بكفرهم وإنما صدوا غيرهم فاشتركوا معهم في الكفر.

(١) – ينظر مختصر المعاني ، سعد الدين التفتازاني ، ٦٩ ، ط١ ، دار الفكر، ١٤١١هـ .
(٢) – دلائل الإعجاز ، الامام عبد القاهر الجرجاني، ت . محمود محمد شاكر ، ١٧٥.
(٣) – النحو الوافي ، عباس حسن ، ٤/ ٧٥٥، ط١٥، دار المعارف، ١٣٩٨هـ.

وقدم الجار والمجرور " بالآخرة " على الخبر "الكافرون "، لمراعاة الفاصلة، ففاصلة الآية السابقة " الظالمين"، وهذه الآية " الكافرون "، وبذلك يأتي نغم السجع الذى يضاعف تأثير النفوس بهذه الحال، فيكون الارتداع والابتعاد عنها أسرع.

المبحث الثاني

البلاغة في آيات أصحاب الأعراف ونداؤهم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾
الأعراف: ٤٦ – ٤٩.

في هذه الآيات ينقل لنا المولى مشهدًا لفريق ثالث من البشر، وهم من استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم يدخلوا الجنة أو النار، وإنما وقفوا على الأعراف وهى أعلى السور الذى يضرب بين الجنة والنار، ينظرون إلى حال الفريقين، فيبين لنا المولى حالهم عند رؤيتهم لكلا الفريقين(١).

وهذا حسن تقسيم؛ فقد ذكر المولى جميع صنوف البشر؛ فمن ثقلت موازينه في الجنة، ومن خفت في النار، ومن استوت على الأعراف؛ يرجون رحمة الرحمن، حتى يصيرون في الجنان بفضل الرحمن.

وعن صحيح التقسيم يقول العلامة أبو هلال العسكري : (التقسيم الصحيح أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه التقسيم ولا يخرج منها جنس من أجناسه)(٢).

تستهل الآيات بالواو لعطف هذه القصة على القصة السابقة.

(١) – ينظر معاني القرآن للنحاس، ٢/ ٣٩، ت. محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.
جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١٢ / ٤٨٥، ت. أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، الكشف والبيان ٤/ ٢٣٥ .

(٢) – كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري، ٣٤١، ت.علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

فالقصر بطريق التقديم؛ حيث قدم المسند " بينهما" و"على الأعراف " على المسند إليه " حجاب"، " رجال "، ليقول: إن الحجاب الذى سنقدم مشهده هو الذى بين أصحاب الجنة وأصحاب النار خاصة دون غيره، وهذا مشهد مخصوص أيضًا بالرجال الذين على الأعراف دون غيرهم، ونرى الإيجاز فقد أغنت جملة القصر عن هذا الكلام الطويل.

وأتى " حجاب، ورجال " نكرة للنوعية، أي إنه نوع مخصوص من الحجب لا تعرفونها، وكيف لا ؟ وهو الفاصل بين الجنة التي في السماء، والنار التي في الأرض، كما أنهم نوع معين من البشر قد استوت حسناتهم وسيئاتهم.

وقد اتفقت جملة " وبينهما حجاب" وجملة " على الأعراف رجال..." في الخبرية لفظًا ومعنى، وتوافرت المناسبة فالأولى تتحدث عن الصور بين الجنة والنار، والثانية تتحدث عن الذين في أعلى الصور؛ فتكاملت أسباب التوسط بين الكمالين فأتت الواو.

وفي جملة : ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ الفعل المضارع الذى يجعلنا نستحضر الحدث، وكأننا ننظر معهم على الفريقين، ونتعرف على كل فريق بعلامته المميزة، فأصحاب الجنة بيض الوجوه، وأصحاب النار سود الوجوه زرق العيون.

والإيجاز بحذف المضاف إليه في " كلاً" أي " كلا الفريقين "فمعلوم أن الحديث عن أصحاب الجنة وأصحاب النار، وذلك من النداء في الآيات السابقة.

رجاء وطمع في جنة الرحمن

عند رؤية أصحاب الأعراف للجنة ومن فيها يملأ نفوسهم الرجاء في أن يمن عليهم الرحمن بالجنان؛ ويلقون تحية الإسلام على أصحاب الجنان.

وهذا من تمام النعيم أن أصحاب الجنة لا يسمعون إلا السلام، فأصحاب الأعراف يلقون عليهم السلام؛ فيقول- ﷻ-:

﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾

انتقل للفعل الماضي الذى يؤكد وقوع الحدث في قوله: " ونادوا "، والنداء بدوره يدل أن نظر أصحاب الأعراف إلى أصحاب الجنة بإرادة واختيار منهم.

وجملة السلام جملة دعائية في صورة خبرية[1]، وذلك للتفاؤل بتحقق السلام لهم، وهو في الجنة محقق بالفعل، وجاءت الجملة اسمية للدلالة على ثبوت ودوام السلام والأمن لأصحاب الجنة، وهذا فيه مزيد من الترغيب في العمل الصالح الذي يجعل صاحبه من أصحاب الجنان؛ حيث الأمن والسلام.

وهذه ميزة أخرى للحوار القرآني فهو ذو قدرة باهرة على مخاطبة النفس من مداخلها التأثيرية كافة، والدخول إليها من جهة غرائزها كافة، ومطالبها الضرورية العاجلة والآجلة، دخول الخبير ببواطنها العليم بخفاياها. [2]

وينقطع الكلام؛ لأن الكلام التالي ليس من كلام أصحاب الأعراف، وإنما من كلام غيرهم من الملائكة؛ فأصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد مع طمعهم في الدخول، فهنا كمال انقطاع بين قوله : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ والكلام السابق.

(١) – ينظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص، ٢/ ٣٣٩، دار الإرشاد الإسلامي بيروت.
(٢) – مظاهر الإعجاز في الحوار القرآني، ١٥٨.

وقال ﷻ : ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ فقدم المسند إليه على الخبر الفعلي[1]، ليؤكد أن أصحاب الأعراف طامعون في دخول الجنة، وهذا طمع يقين بأن الله الرحيم لن يخذلهم وسيدخلهم الجنة، (قال الحسن : لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم.

وروى الحاكم عن حذيفة قال: بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك؛ فقال: قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم)[2].

والفعل المضارع هنا؛ لأن المشهد لا يزال من أعلى السور، فأصحاب الأعراف لم يؤمر بهم إلى جنة ولا إلى نار؛ فلا يزال طمعهم في دخول الجنة مستمرًا.

والآية بها تنويع في الأسلوب من خلال الالتفات من الغيبة للخطاب ثم للغيبة مرة أخرى لجذب انتباه القارئ، وإثارة وجدانه فتؤثر فيه الآية أفضل تأثير.

صرف إلى النار والاستعاذة منها

رأينا حال أصحاب الأعراف عند رؤية أصحاب الجنة، فما هي حالهم عند رؤية النار وأصحابها ؟، يقول ﷻ :

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۖ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾

ولايزال المولى يقدم لنا مشهد أصحاب الأعراف، لذا أتت الواو عاطفة باقي القصة على أولها.

نرى الفعل " صُرفت " المبنى للمفعول؛ الذى ينقل لنا الرؤية المنبعثة عن عدم الإرادة، فأصحاب الأعراف لا يريدون النظر إلى النار ومن فيها، ولكن المولى يصرف

(١) – مختصر المعاني، ٥٦ .
(٢) – تفسير السراج المنير،١/ ٣٧٨.

وجوههم، لرؤية النار ومن يُعذب فيها، لذا أتى الصرف مقيدًا بـ " إذا " فنظرهم إلى أصحاب النار واقع قطعًا [1].

وفى جعل الصرف للأبصار بطريق بناء الفعل للمفعول، رسم صورة لحالهم، فحين صرفهم الله للنظر في النار كانت رغبتهم عدم التوجه إليها، فنظروا بأطراف أعينهم دون توجه كامل لها، كراهة أن يصيبهم شيء من عذابها.

وتلك ميزة اختيار الألفاظ في القرآن؛ فهي (في القرآن تظهر في تركيب ممتع فترف به، ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التي هي طبيعة فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة)[2].

وعندئذ يدعون رب العزة بقولهم : ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فهذه الجملة في منزلة جواب لسؤال نشأ عن الجملة السابقة، فماذا فعل أصحاب الأعراف عند رؤية أصحاب النار ؟، فالفصل هنا لشبه كمال الاتصال.

كان منهم هذا الدعاء الذى أتى في جملة النهى " لا تجعلنا مع القوم الظالمين"، الذي عكس ما تنطوي عليه نفوس أصحاب الأعراف عند رؤية النار؛ فقد أصابهم رعب وهلع جعل تفكيرهم يتوقف، وصدر دعاؤهم من قلوبهم دون تعقل فأتى بصورة النهى؛ فحالهم أشبه بطفل رأى حريقًا شديدًا يقترب منه، فما كان منه إلا كلمة " لا، لا".

وفاصلة الآية " الظالمين " دون غيرها؛ فهم كافرون ومجرمون، إلا أن اختيار ظالمين هو الأنسب، لأن الكفر والإجرام خاص بهم، أما الظلم فيشمل كفرهم وجرمهم وصدهم غيرهم، فهم ظالمون لأنفسهم وظالمون لغيرهم.

(١) – ينظر المطول، سعد الين التفتازاني، ٣١٧، ت. د. عبد الحميد هنداوي، ط١،دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م .
(٢) – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢١٩.

نداء لأعلام الكفر والاستكبار

ويرى أصحاب الأعراف في النار رجالاً شهروا بسطوتهم وقسوتهم وسلطانهم في الدنيا مثل: " الوليد بن المغيرة، وأبي جهل، ومن ماثلهم في عصرنا"؛ فينادونهم، يقول تعالى:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾؛ لذا أتت الواو للتوسط بين الكمالين؛ فلا نزال نعيش مع حال أصحاب الأعراف حين صُرفت أنظارهم إلى النار ورأوا من فيها، وهذا النداء تقريع وتوبيخ لهؤلاء الرجال.

وقد أتى الاسم الظاهر" أصحاب الأعراف " موضع المضمر، فالأصل " ونادوا رجالا" فقد تقدم الحديث عنهم في الآية السابقة؛ إلا أن الآية ذكرت أصحاب النار؛ فكان الاسم الظاهر "أصحاب الأعراف" هنا لأمن اللبس.

وقد أتى بـ " رجال " نكرة ليفيد النوعية أي رجال معينون ومعلمون لدى أصحاب الأعراف؛ رجال شهروا بسطوتهم وقهرهم وسخريتهم من أصحاب الإيمان، ولذا أتى (يعرفونهم) فعل مضارع لأن المعرفة كانت في الدنيا ولا تزال مستمرة، ولكى نشاركهم في الحدث وكأننا ننظر اليهم ونعرفهم أيضًا.

ويأتي شبه كمال الاتصال في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾؛ لأنها جملة قول تجيب عن سؤال تولد عن الجملة السابقة، ماذا قال أصحاب الأعراف للرجال الذين عرفوهم في النار؟

والمعنى: ما أغنى (المال أو كثرتكم واجتماعكم وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ واستكباركم عن الحق وعلى الناس، وقرئ: تستكثرون، من الكثرة)[1]، يقولون لرجال النار على سبيل السخرية من حالهم لم تنفعكم أموالكم ولا أولادكم ولا جماعاتكم ولا استكباركم؛ فأصحاب الأعراف يذكرونهم بما فعلوه في دنياهم، حتى استحقوا هذا الجزاء، وفي ذلك تنفير من هذه الحال حتى لا يصل إليها أحد، وتحذير لمن هو على شاكلتهم حتى يرتدع.

(١) – الكشاف (٢/ ١٠٨).

وأتت " تستكبرون " بصيغة المضارع، رغم انتهاء زمان الاستكبار، فقد كان في الدنيا، إلا أن طبيعة هذا الصنف من الرجال هو الاستكبار فقد انطوت عليه نفوسهم، فلا يزال في قرارتها، مع ما حل بهم، وقد صدق ربنا إذ يقول: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ الأنعام: ٢٨.

توبيخ أهل الاستكبار

ويزيد التوبيخ والتقريع بالاستفهام التقريري في قوله تعالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾، أي انظروا في الجنة فهؤلاء الذين استضعفتم في الدنيا وسخرتم من إيمانهم، وأذقتموهم العذاب، وأقسمتم أنهم لن يفوزوا في الآخرة، بل إنكم تجاوزتم كل الحدود فقلتم: " لا ينالهم " أي يصيبهم[1] فبالغتم مبالغة شديدة تناسب عتوكم وكفركم، وأتت " بِرَحْمَةٍ " بتنوين التنكير لتمام المبالغة؛ فالقسم شامل لأي نوع من أنواع الرحمة ولو كانت قليلة؛ وكل ذلك تبكيت لأصحاب النار ومضاعفة للألم النفسي.

وأتى اسم الإشارة للقريب مع علو منزلة أهل الجنة، ليدل على حب أصحاب الأعراف لهم، وقرب أصحاب الجنة من قلوب أصحاب الأعراف، ورجاء أصحاب الأعراف أن يكونوا منهم.

وقد أتى " أقسمتم " دون غيرها مثل " قلتم "، لأن أقسمتم تناسب المقام، ففيها مزيد من التبكيت لأصحاب النار؛ لأنهم بالقسم قد أكدوا عدم فوز المؤمنين في الآخرة، وبرؤيتهم المؤمنين في الجنان تكذيب لهذا القسم وخذلان وبهتان لهم، ولا شك أن هذا القسم في الدنيا وقد انتهى زمانه ولن يعود بحال من الأحوال؛ لذا أتى بصيغة الماضي.

وأتى المجاز المرسل " رحمة " والمراد الجنة؛ والعلاقة الحالية؛ فالرحمة تحل في الجنة، وناسب لفظ الرحمة قوله تعالى " ينالهم "؛ لأن الإصابة تفهم أكثر مع الرحمة، والقرينة

(١) – اللسان مادة (نيل).

الاستحالة أن يكون قسم الكافرين على الرحمة فقط، وإنما القسم على الجنة كلها.

وبالحوار الذى تم بين أصحاب النار وأصحاب الأعراف تتجسد ميزة من ميزات الحوار القرآني وهى : **عرض الآراء المختلفة التى تمثل أطراف الحوار بأجلى صورة وأوضح سياق دون زيادة أو نقصان** (١).

قبول الرجاء

ويفصل قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ عن سابقه، فهذا الكلام ليس من كلام أصحاب الأعراف، وإنما هو مناد من قبل المولى - ﷻ- أن قد استجاب الله لكم وأبعدكم عن الظالمين، فادخلوا الجنة.

والجملة إنشائية، في صورة الأمر الذي أتى للإباحة؛ فقد كنتم ترجون دخول الجنة، وتخافون من دخول النار؛ فقد استجاب الله لكم، فأباح لكم دخول الجنة.

ثم جعل انقطاع الخوف والحزن دائمين وثابتين، حين أتى بهما في جملتين اسميتين، ولا ريب فقد استقر بهم الحال في جنة العدنان.

وأكد انقطاع الحزن وحققه بتقديم المسند إليه " أنتم " على الخبر الفعلي " تحزنون"، كما أنه تخصيص لأصحاب الأعراف بنفي الحزن عنهم دون غيرهم من أهل النار، فقد أصابهم الحزن حين استوت حسناتهم وسيئاتهم ووقفوا على الأعراف لا يدرون ما هو مصيرهم، لذا كان تأكيد نفى الحزن، فتلك الحال التي مررتم بها لن تكرر في الجنان، وهذا هو حسن النسق.

وهذا ما أكددته دلالة المضارع " تحزنون" فنفي الحزن مستمر، ولا ريب فقد أصبحوا في الجنان ينعمون بالسلام، وانتزع منهم الرحمن الغل، فلا عجب في القضاء على الحزن.

(١) – مظاهر الإعجاز في الحوار القرآني، ١٧٢ .

(والمتأمل يرى أن كل جزء تقدم على آخر فإنه كالسبب فيه أو أخص منه وما أتى بعده عام، أو حكم تقدمت مسبباته؛ فجاء التعبير محكم البناء، موصول العرى، متلاحم الفقرات)[١].

وبذلك تكون فاصلة هذه الآية مناسبة لسياق الآيات قبلها، وهذا هو الإرصاد أو التسهيم.

وفواصل هذه الآيات منتهية بالنون فهي من السجع المطرف، الذى يشيع نغمًا عذبًا للآيات يجعل الإنسان يستحسن القراءة ويستزيد منها.

(١) – خصائص التعبير القرآنى وسماته البلاغية ، ٢/ ٤٦٠.

المبحث الثالث

البلاغة في آيات نداء أصحاب النار

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ الأعراف: ٥٠ ـ ٥١

استجداء وإذلال

مَن المنادى هنا ؟ إنهم أصحاب النار، الذين استكبروا في الدنيا وتجبروا، هاهم في الآخرة يتذللون ويستجدون أهل الجنة أن يتعطفوا عليهم ببعض الماء أو الطعام، فصدق الله وعده، وأصبح الضعفاء جياع أهل الدنيا- في نظر المستكبرين - أصحاب الإيمان، الذين ظُلموا وقهروا وحرموا كثيرًا من خيرات الدنيا، هم أصحاب النعيم الذى لا يزول.

ولا يزال الحوار القرآني يقدم لنا الحدث وكأنه واقع من خلال الخروج على خلاف مقتضى الظاهر، في الإتيان بالفعل الماضي للحدث المستقبلي في قوله -ﷻ- : " ونادى ".

وأتت الواو لعطف قصة نداء أصحاب النار على قصة نداء أصحاب الأعراف.

ويتولد في نفس القارئ سؤال: بم نادى أهل النار؟ فتأتى الإجابة :" أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله "، ففصل بين الجملتين لشبه كمال الاتصال.

و" أفيضوا " أي ألقوا علينا بعض الماء(١)، ففيه دلالة أن الجنة فوق النار، كما أن طلب الماء أولاً يناسب التعذيب بالنار، فهذه النار المحيطة بهم من كل جانب لا يستطيعون الخلاص ولا الفرار منها، تشعرهم بالعطش الشديد، وهذا نوع آخر من العذاب.

(١) – ينظر اللسان مادة (فاض).

" وأفيضوا " فيها تصوير للطمع الذى فُطر عليه هؤلاء المكذبون، فهم لا يريدون الماء فحسب وإنما يريدون الكثير منه؛ وقيل : (إن الكفار لما كانوا عبيد البطون حُرَّاصًا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا وادخلوا النار على ما ماتوا طلبوا الماء أو الطعام)[١].

لذا كانت أفضل صدقة هي الماء، وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الْمَاءُ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى أَهْلِ النَّارِ حِينَ اسْتَغَاثُوا بِأَهْلِ الْجَنَّةِ" أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ".

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّ سَعْدًا أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: (الْمَاءُ). وَفِى رِوَايَةٍ: فَحَفَرَ بِئْرًا فَقَالَ: (هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ) [٢].

والأمر بالإفاضة هنا ليس على ظاهره وإنما هو للطلب المشوب بالذل.

وفائدة " من " هنا قصد التبعيض[٣]، فيتصور العقل مقدار النعيم الذى فيه أهل الجنة، وأن أصحاب النار وإن طلبوا الكثير في " أفيضوا " إلا أنه قليل بالنظر لنعيم الجنة، فالأنهار تجرى من تحتهم، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ويؤكد الإبهام في الاسم الموصول " ما " الكثرة والتنوع في الرزق، والكناية في " مما رزقكم الله " عن جميع الأشربة والأطعمة التي يتنعم بها المؤمنون في الجنان، والكناية أتت بدليل كثرتها فهي من عند الله لا تنقطع.

(١) – روح المعاني، محمود الألوسي أبو الفضل، ٨/ ١٣٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
(٢) – تفسير القرطبي (٧/ ٢١٥) .
(٣) – ينظر من أسرار التعبير فى القرآن " حروف القرآن "، د. عبد الفتاح لاشين، ١٠٧، ط١، عكاظ ، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

وقد قال الإمام عبد القاهر الجرجاني عن الكناية :

(أنْ ليس المعنى إذا قلنا: "إن الكنايَة أبْلغُ منَ التَّصريح"، أنك لمَّا كنَّيْتَ عن المعنى زدْتَ في ذاته، بل المعنى أنك زِدْتَ في إثباتهِ، فجَعلْتَه أبلغَ وآكَدَ وأَشَدَّ. فليستِ المزيةُ في قولهم: "جَمُّ الرماد"، أنّهُ دلَّ على قِرًى أكثرَ، بل المعنى إنك أثبتَ له القِرى الكثيرَ من وجهٍ هو أَبلغُ، وأوجَبْتَه إيجاباً هو أَشدُّ، وادَّعيْتَه دَعْوى أنتَ بها أَنْطَقُ، وبِصِحَّتها أَوْثَقُ) [1].

وقد جاء العام " رزقكم الله " بعد الخاص " الماء "، لأن الماء من رزق الله -ﷻ-، وأُفرد الماء هنا للاهتمام بشأنه كما سبق بيانه، ودخل مع الرزق ضمنًا للتأكيد على هذه الأهمية.

وهذه الاستغاثة من أصحاب النار ولدت سؤالاً آخر، فما كان جواب أصحاب الجنة ؟، فتأتى الإجابة في قوله تعالى:

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

فأتت إجابة أصحاب الجنة مؤكدة حرمان أصحاب النار من النعيم واستمرار الحرمان؛ حيث نرى " إنَّ " واسمية الجملة، وكأن أصحاب النار طمعوا في بعض من نعيم الجنة حين رأوا دخول أصحاب الأعراف فيها، فقوبلت هذه الحال النفسية، بتأكيد استمرار الحرمان، فقد حرموا أنفسهم من الإيمان في الدنيا، فحرمهم الله نعيم الآخرة.

أسباب الحرمان من الجنان

ننتقل مع الحوار القرآني من مشاهد القيامة إلى مشهد من مشاهد الدنيا، فنرى الإطناب في تفصيل أحوال (الكافرين)؛ في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾

(١) – دلائل الإعجاز ،الإمام عبد القاهر الجرجانى ، ٧١.

فالاستهزاء بالدين وتبديله باللهو واللعب، والاغترار بالدنيا إنما كان حال الكافرين فيها، لذا فُصلت الجملتان لما بينهما من كمال اتصال.

وصُدرت جملة التفصيل بالاسم الموصول للدلالة على وجه بناء الخبر، وهو استحقاقهم الخلود في النار.

وفى قوله تعالى : (وغرتهم الحياة الدنيا) مجاز عقلي[1] علاقته الزمانية فإنهم اغتروا بالمفاتن التي كان زمانها الحياة الدنيا، وفى هذا تشخيص للحياة الدنيا للتحذير من الجري وراء مفاتنها، وكأنها إنسان ذو منطق معسول يجلب وراءه الناس، وما يلبسوا إلا أن يروا السراب الذى فتنهم به، وفى هذا ما لا يخفى من الإيجاز.

وهذا الجزء من الآية كناية عن صفة الكفر والاستكبار، وقد أتت الآية بدليل هذا الكفر، وهو الاستهزاء بالدين والاغترار بالدنيا الفانية، فكانت أكثر تأكيدًا في استحقاقهم

---

(١) – اهتم العلماء الأوائل بدراسة المجاز العقلي وإن لم يسموه بهذه التسمية، فقد أشار إليه سيبويه في كتابه عند حديثه عن بيت الخنساء:

تَرتَعُ ما غَفلت حَتّى إذا اِدَّكَرَت فَإِنَّما هِيَ إِقبالٌ وَإِدبارُ

إذ يقول: "فجعلها الإقبال والإدبار مجاز على سعة الكلام كقولك: نهارك صائم، وليلك قائم"، الكتاب ، سيبويه ، ١/ ٣٣٧ .

وتحدث عنه أيضًا أبو عبيدة في كتابه (مجاز القرآن) وذكر الآية الكريمة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٢١) قال: "وإنما يرضى بها الذي يعيش فيها". مجاز القرآن ٢ ٧٩/١، وغيرها من الآيات.

وينمو الحديث عن أسلوب المجاز العقلي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) ؛ فقد أشار إليه في كثير من الآيات كقوله تعالى ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (هود: ٤٣) كذلك في قول الحطيئة:

دَعِ المَكارِمَ لا تَرحَل لِبُغيَتِها وَاِقعُد فَإِنَّكَ أَنتَ الطاعِمُ الكاسي

فالفراء يضيف جديدًا إلى دراسة هذا اللون هو أن يكون المخاطب عالمًا بموضع التجوز عارفًا بالإسناد .معانى القرآن ٢/ ١٥ ،١٦ .

وتحدث الجاحظ أيضًا في (الحيوان) عن المجاز العقلي وقال: "وسمع الحسن رجلًا يقول: طلع سهيل، وضرب الليل. فكره ذلك وقال: إن سهيلًا لم يأت بحر ولا ببرد قط. ولهذا الكلام مجاز ومذهب، الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،١/ ٣١٤، ت. عبدالسلام محمد هارون، الناشر دار الجيل– لبنان/ بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م

هذا الجزاء، وأكثر تنفيرًا من الانسياق وراء مفاتن الدنيا، التي تشغل الناس عن العمل للآخرة.

وهنا ينشأ في الذهن سؤال آخر، فما الله فاعل بهم ؟، ويأتي الجواب في قوله تعالى:

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾

وتطل علينا " الفاء " بدلالتها على التعقيب [1]، فالجزاء المباشر من المولى - ﷻ - هو خلود هؤلاء الكافرين في قعر النار، مترتب على اتخاذهم دينهم لهوًا ولعبًا واغترارهم بالدنيا.

وقد حُذف فعل القول، والتقدير : (قال اليوم ننساهم)، وحذف الفعل هنا للعلم به، فالمُجازي في هذا اليوم هو الملك –سبحانه – لا أحد غيره.

وقد أتى الجزاء بطريق الاستعارة في قوله تعالى: "ننساهم "، فعبر عن خلودهم في النار بالنسيان، لما في النسيان من الإهمال بالكلية وعدم الالتفات إليهم، وكأنهم ليسوا موجودين في مشهد الآخرة، وهذا فيه ما فيه من التنفير من هذه الحال أو الوصول إليها.

وقد قال الإمام عن جمال الاستعارة :

(وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة ومعها يستحق وصف البراعة وجدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلاها، وتقصر عن أن تنازعها مداها، وصادفتها نجوماً هي بدرها وروضا هي زهرها)[2].

وهذا النسيان إنما هو مشاكلة لنسيانهم اليوم الآخر، وتلك استعارة أخرى للإنكار والاستكبار، والنسيان هنا أيضًا رسم صورة للإعراض الكلى من الكفار عن الرسل وما وعدوا به.

(١) – ينظر من أسرار التعبير في القرآن " حروف القرآن " ، د. عبد الفتاح لاشين ، ٧٥.
(٢) – أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني، ٤٣، ت. محمود محمد شاكر، ط١، دار المدني – جدة، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

والإشارة لليوم بـ " هذا " للقريب، لأنهم في مشهد اليوم الآخر، وفى هذا حث على العمل الصالح الذى ينجى في هذا اليوم، وتنفير من الكفر والعصيان الذى يُهلك صاحبه.

ووصل قوله : "وما كانوا بآياتنا " بما قبله للتوسط بين الكمالين، فالمسند إليه في الجملتين واحد وهم الكفار، ويوجد مناسبة بين النسيان والجحود وهو الترك.
وقال تعالى : " بآياتنا " ليشمل جميع الآيات، (الآيات إما آيات كونية : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اليل والنهار والشمس والقمر... ﴾ [فصلت : ٣٧]

وإما آيات قرآنية كقوله سبحانه : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت : ٣]

وإما أن تكون آيات معجزات لإثبات النبوة كقوله سبحانه : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بالآيات إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأولون... ﴾ [الإسراء : ٥٩]
هم إذن جحدوا الآيات كلها، وكان أول جحود هو جحود بالآيات الكونية التي عرفوها قبل أن يأتي التكليف، فهم عاشوا الليل والنهار، وتنفسوا الهواء، واستمتعوا بدفء الشمس، وروى المطر أراضيهم ووجدوا الكون مرتباً منظماً يعطى الإنسان قبل أن يكون للإنسان إدراك أو طاقة، وكان يجب أن تلفتهم هذه الآيات إلى أن لهم خالقاً هو الحق الأعلى.
وحين جاء لهم الموكب الرسالي جحدوا آيات المعجزات التي تدل على صدق الرسل.
وحين جاء القرآن معجزاً جحدوا الآيات التفصيلية التي تحمل المنهج. إذن فلا عذر لهم فى شيء من ذلك) [1].

وأتت " يجحدون " بصيغة المضارع، ليستحضر أصحاب النار حالهم في الدنيا، وما فعلوه من استمرار على الكفر والتكذيب، وهذا فيه مزيد من التعذيب النفسي.

(١) - تفسير الشعراوي ، ٧/ ٤١٥٦ .

ويمكن أن يكون المضارع للدلالة على أن تلك الحال متجددة مستمرة معهم، فهم وإن أصبحوا في النار إلا أن حالهم لن تتغير إن أخرجوا منها وأعيدوا للدنيا، وهذا مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنعام: ٢٧ - ٢٨ .

إلى هنا تكون أنتهت وقفة الباحثة مع بلاغة الحوار بين أصحاب الجنة وأصحاب النار.

وقد خلصت منه بمجموعة من النتائج، تراها في الخاتمة بإذن الله تعالى.

الخاتمة

و

التوصيات

الخـاتمـة

بعد أن استمعنا لحوار أصحاب الجنة وأصحاب النار بآذان البلاغة، وعشنا في مشاهد الآخرة؛ فتصورنا الجنة وحال أصحابها، والنار وحال من فيها، وعشنا الخوف والرجاء مع أصحاب الأعراف، خلصت الباحثة لمجموعة من النتائج؛ هي :

١- ما كان هذا التعايش من القارئ مع أحداث الحوار إلا لتقديمه في صورة بلاغية بارعة؛ فأحداث الحوار من الأمور الغائبة عن الحس، لكنَّ الله - ﷻ - قدمها لنا في صورة مرئية محسوسة، وكأننا نشاهدها ونتفاعل معها، وما كان ذلك إلا من خلال:

أ- **الفعل المضارع** وما تصحب دلالته من قدرة على نقل الحدث، بالإضافة إلى مهمته الأساس في الدلالة على التجدد، والاستمرار.

ب- **التجسيم والتصوير** من خلال الاستعارة التصريحية، والمجاز العقلي.

ج - التأكيد بتقديم الدليل نراه في الكناية، والطباق،وإيهام التضاد.

د- **كان لاستخدام اسم الإشارة** ميزة كبيرة في تصوير الحب، أو القرب الشديد لما يقع في الوهم أنه بعيد.

٢- التفاعل مع مشاهد الحوار أتى من مخاطبة النفوس على اختلافها؛ فخالق البشر هو العالم بما تنطوي عليه كل نفس، وهو القادر على استخراج بواطنها وخفاياها، وما كان ذلك إلا من خلال:

أ- **الإثارة والاستفزاز** والتهكم من خلال النداء، والإسجال، والاستفهام.

ب- **تتبع شبهات النفس** من خلال حسن التقسيم، الجملة الدعائية في صورة الخبر.

ج- **تصوير للألم النفسي** الذي يضاعف به العذاب البدني في جهنم، نراه من خلال : " الاستفهام التقريري وما فيه من إسجال على أصحاب النار، الاستفهام التوبيخي، النداء، الأمر للطلب".

د- **التأكيد لإزالة الشكوك،** ومواجهة الإنكار؛ نراه من خلال: " أن والجملة الاسمية، التأكيد بالفعل الماضي المسبوق بقد، تقييد الفعل بإذا، القصر بطرق: " التقديم ".

هـ- **إظهار معتقد النفس** من خلال الخروج على خلاف مقتضى الظاهر.

و- **الإبهام من خلال الاسم** الموصول " ما " الذى يستوعب كل ما يجول بالخواطر والنفوس، سواء في تصور ما يشقيها أو يسعدها.

٣- كان للخروج على خلاف مقتضى الظاهر دور بارز في هذا الحوار؛ حيث نرى تركًا للفصل وإيثارًا للوصل، والتفاتًا، ووضعًا للمظهر في موضع المضمر، والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي.
٤- **امتاز الحوار بعرض الآراء المختلفة** التي تمثل أطراف الحوار، وتمثل ذلك في: حسن التقسيم.
٥- **امتازت ألفاظ الحوار** بالقدرة الخاصة على تصوير كراهة أصحاب الأعراف النظر إلى النار في "صُرفت"، وأخرى تصور ما انطبع عليه الكفار من طمع في: " أفيضوا "، وألفاظ تصور الألم النفسي لأصحاب النار وذلك في قوله تعالى:" يجحدون".
٦- **كان لاختيار الحروف** قدرة على تصوير حال الفريقين، نرى ذلك في حرف الجر " من".
٧- **كان للإيجاز دور** بارز في رسم صورة الألم النفسي لأصحاب النار، وكذلك **للإطناب دور** بارز في رسم صورة لنعيم أهل الجنة.
٨- **وأخيرًا امتاز نظم** آيات الحوار بائتلاف اللفظ والمعنى، وحسن النسق، والإرصاد أو التسهيم.

❁❁❁❁❁

التوصيات

كان هذا البحث مجرد نواة للبحث البلاغي في الحوار القرآني، ولا يزال حوار القرآن يحتاج إلى مزيد من الغوص في أعماقه لاستخراج درره البلاغية التي تجعله متفردًا، ومعجزًا.

ومن نماذج الحوار التي لا تزال تحتاج للبحث والتنقيب:

١- هناك حوار يدور حول وحدانية الله – تعالى – أو حول القرآن الكريم، واليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب.
٢- حوار الأنبياء مع أقوامهم.
٣- الحوار بين المستضعفين والمستكبرين.

وأخيرًا أسأل الله تعالى الهداية والتوفيق لخدمة لغة القرآن الكريم.
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب،
والحمد لله رب العالمين.

❁❁❁❁❁

المصادر
و
المراجع

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت.محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
- الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم (عَرْضٌ وَدِراسَةٌ)، د. أحمد بن عبد العزيز بن مُقْرِن القُصَيِّر،ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٠ هـ.
- أدب الحوار، سعد بن ناصر الشتري، دار كنوز – الرياض، ١٤٢٧هـ.
- أدب الحوار في الإسلام، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، ١٩٩٧م
- أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني، ت. محمود محمد شاكر، ط١، دار المدنى – جدة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، ط ١، دار المنار – جدة مكة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط٨، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٩٥م.
- بغية الإيضاح، عبد المتعال الصعيدي، ط١٧، مكتبة الآداب،١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن المداني، ط١، دار البشير – جدة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- التأثير الصوتي للقرآن الكريم، د. عادل أبو شعر، دمشق، ٢٠٠٨.
- تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع، ت.حفني شرف.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤ هـ.
- تفسير أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت.
- تفسير الشعراوي، مراجعة أ.د. أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم.

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت. سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، دار السعادة.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ت: د.محمد رضوان الداية، ط، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق،١٤١٠هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١٢ / ٤٨٥، ت. أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، ت. هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
- الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، دار الوطن الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.
- الحوار في الإسلام، عبد الله بن حسين الموجان، ط١، مركز الكون، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦ م.
- الحوار منهجًا وثقافة، محمد خليفة حسن أحمد، ١٩، ط١، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨.
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت. عبدالسلام محمد هارون، الناشر دار الجيل- لبنان/ بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم المطعني، ط١، مكتبة وهبة – القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م.
- دلالات التراكيب، أ.د. محمد أبو موسى، ط٣، مكتبة وهبة، ١٤٢٥هـ ـــ ٢٠٠٤م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، ت. حمدو طماس، ط١، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م
- روح المعاني، محمود الألوسي أبو الفضل، ٨/ ١٣٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ت. د. عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد على صبح – ميدان الأزهر، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٩م.

- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ط١، ١٤١٢ه.
- الكتاب، سيبويه،ت. عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، لقاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- كتاب جمهرة الأمثال، أبي هلال العسكري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الفكر، ١٩٨٨ م.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، ت.علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ت. الإمام أبي محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر الحنبلي، ت. الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان،١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، دار صادر – بيروت
- ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان، محمود شكري الآلوسي، ت. زهير الشاويش، المكتب الاسلامي –لبنان،١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
- المثل السائر، ابن الأثير، ت. محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – بيروت لبنان، ١٩٩٥م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة،ت. محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، ١٣٨١ هـ.
- مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، ط١، دار الفكر، ١٤١١هـ.
- المطول، سعد الين التفتازاني، ت. د. عبد الحميد هنداوي، ط١،دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٤٢٢ه- ٢٠٠١م.
- مظاهر الإعجاز في الحوار القرآني، أحمد سليمان البشايرة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد٣، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م
- معاني القرآن، الفراء، ت: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.
- معاني القرآن للنحاس، ت. محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج،ت. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب – بيروت،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- من أسرار التعبير في القرآن " حروف القرآن "، أ.د. عبد الفتاح لاشين،ط١، عكاظ، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م.
- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضه مصر - القاهرة، ٢٠٠٥.
- مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص، دار الإرشاد الإسلامى - بيروت.
- النحو الوافي، عباس حسن، ط١٥، دار المعارف، ١٣٩٨هـ.
- النكت والعيون، أبو الحسن على بن محمد البغدادي، ت. السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

فهـــرس الموضـــوعـــات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١١٢٧
التمهيد : تعريف الحوار	١١٣١
أهداف الحوار	١١٣٤
آداب الحوار	١١٣٥
الحوار في القرآن	١١٣٦
سمات الحوار في القرآن	١١٣٧
بين يدي السورة	١١٣٨
المبحث الأول البلاغة في آيات نداء أصحاب الجنة	١١٤١
تقرير وإسجال	١١٤٣
تفصيل أحوال الظالمين	١١٥٢
قوله تعالى :(الذين يصدون عن سبيل الله)	١١٥٢
المبحث الثاني البلاغة في آيات أصحاب الأعراف وندائهم	١١٥٧
رجاء وطمع في جنة الرحمن	١١٦١
صرف إلى النار واستعاذة منها	١١٦٢
نداء أعلام الكفر والاستكبار	١١٦٤
توبيخ أهل الاستكبار قبول الرجاء	١١٦٥
المبحث الثالث البلاغة في آيات نداء أصحاب النار	١١٦٩
استجداء وإذلال	١١٧١
أسباب الحرمان من الجنان	١١٧٣
الخاتمة	١١٧٩
التوصيات	١١٨٢
المصادر والمراجع	١١٨٣
فهرس الموضوعات	١١٨٩